سوريا

ثمن الحرية.. حكاية ثائر من بابا عمرو



الكاتب
د. أحمد السبلي
محرر أول

تاريخ النشر
4 نوفمبر 2026



استوقفتني مداخلة فلس زين العابدين خلال جلسة الصحفي إيلاشربجي، وأعادت كلماته إلى ذاكرتي حديثًا مؤثرًا دار خلال زيارتي الأخيرة إلى حمص في الصيف الماضي.

خلال إجازتي القصيرة، احتجت إلى مشورة محامٍ، وبعد أن وصلت إلى مكتبه، وهو أيضًا مدير لجمعية خيرية عاملة تابعة للدولة، جلست بانتظاره، وكان نائبه حاضرًا في المكتب. تبادلنا الحديث خلال فترة الانتظار، وبعد أن تعارفنا، أخبرني أنه كان من عناصر كتيبة ثوار بابا عمرو، وأنه قبل انضمامه إلى الكتيبة كان يعمل ضمن مجموعة أصغر من الثوار، جلّهم من أصدقائه، ضمّت 23 عنصرًا، لم يتبقَّ منهم اليوم سوى ثلاثة، أما الآخرون فقد قضوا نحبهم خلال أيام الثورة الأولى، حين حمل ثوار مدينة حمص السلاح في وجه الطغاة، وألهمت شجاعتهم بقية الأحرار في المدن السورية لحمل السلاح.

وعندما قاله لي أيضًا أنه بعد الخروج من حمص، انتقل إلى إدلب مع بقية الثوار، ثم سافر في الفترة الأخيرة للعمل في السعودية، وأعتقد أنه كان يعمل محاميًا، حيث كان يتقاضى راتبًا ممتازًا. لكنه، بعد سقوط النظام، فتح صيدلية في سوريا من قبل رفاقه، وطُلب منه المساهمة في إدارة الدائرة الحكومية التي يعمل فيها الآن. وأخبرني أن ثمن هذه الوجهة كان التخلي عن الراتب الممتاز الذي كان يتقاضاه، لأن واجبه تجاه بلده كان أقوى من أي اعتبار آخر.

ثم قال لي إن التضحيات التي قدّمها الثوار قد تقف شاهدًا أمام الله، مشيرًا إليّ، الذي أصبح بإمكانه اليوم زيارة وطنه دون الشعور بالخوف، والاستمتاع بإجازته.

لم أجد، وأنا أستمع إلى كل ذلك، سوى بضع كلمات الشكر على ما قدّمه هو وأصدقاؤه، لكنه لم يردّ. وفي ظل ذلك الصمت، أدركت، وأنا أحدّث نفسي حينها، حجم التضحية التي قدّمها الشعب السوري، وعظم ثمن حريته؛ ثمن لن يصل

شاب في العشرينيات أو الثلاثينيات من عمره السلاح، ويودّع زوجته وأولاده وأحلامه، ويتحمّل معاناة الحصار والقتل والنزوح وقصف الطائرات، ويرى أصدقاءه يموتون أمام عينيه.

أعادت مداخلة فارس زين العابدين إلى ذهني كل هذه الأفكار، ولذلك أزعجني من بادر إلى مقاطعته أثناء حديثه.

وأنا هنا لا أخوض في الجدل بين من يؤيد أو يعارض مقولة «من يحرر يقرر»، أو في النقاش حول ما إذا كان شكل الحوار سيكون إسلاميًا أم علمانيًا. فهذا الحديث أشبع نقاشًا، ولا أعتقد أن هناك خلافًا جوهريًا عليه لدى غالبية السوريين، خصوصًا أن الحكومة الحالية قد هممت الأمر بإطلاق الحريات الفردية.

لكن ما أثارني في حديث فارس زين العابدين، وفي حديث ثائر بابا عمرو الذي التقيته في حمص، هو الصمت العميق لأن يحمل الإنسان السلاح ويقاتل، ويضع حياته وكل ما يملك على المحك.

صحيح أن آلاف السوريين في المغترب تبرعوا بأموالهم، وبنوا منظمات إغاثية ضخمة قدّمت الخدمات الطبية للغوطة المحاصرة ودرعا وحلب وإدلب، وأن هناك من عمل في المعارضة السياسية، وكلها أعمال مؤثرة وساهمت كبيرة لا يمكن إنكارها. لكن حمل السلاح والتصدي بالنفس شيء آخر.

ونحن، بذلك، مدينون لثوار سوريا الذين تجرؤوا على قتال جيش الطاغية ومحاصريه. كثيرون منهم استشهدوا في المعارك ولم يعرف أحد أسماءهم، وهناك من فقدناه، أو أخاه، أو أباه، أو صديقه، ومن حمل آثار الحرب وتحدياتها معه طوال حياته.

فإلى كل هؤلاء، من عبد القادر صالح، وأبو الفرات، وفيّاض مطر، ومحمد الباسط الساروت وإخوته الأربعة، وباسل شحادة، ومشعل التمو، إلى الآلاف والآلاف ممن لم نعرف أسماءهم:

نحن مدينون لكم ما حيينا، ولا توجد كلمات تستطيع التعبير عن مدى حبنا لكم، أو عن عظمة ماضحيتم به من أجل أهلكم وبلدكم.

الرابط البديل للمقال

قرأ المقال على الموقع

Read Article on Website

syriamorse.com/?p=19567

SCAN TO READ